التعريف والنقد

الإمام الشافعي : فقيه السنة الأكبر

تأليف الأستاذ عبد الغني الدقر

بقلم الأستاذ محمد بهجة البيطار

أكتب هذه الكلمة وأمامي كتاب حيـــاة « الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر » تأليف الأستاذ الأديب الشيخ عبد الغني الدقر ، وهو يقع في ثلاثمائة وخمسين صفحة بالقطع المتوسط ، أما مراجعه فأكثر من خمسين مرجعاً أثبتت في فهرس خاص في نهاية الكتاب ، وهي في التفسير والحديث ، والأصول والفقه ، واللغـــة والأدب ، والسير والتاريخ والتراجم وغير ذلك . وقد عني الأستاذ المؤلف في نقوله من هذه المراجع بالعزو إلى قائليهـا . والإشـارة إلى الأجزاء والصفحات منها ، ووضع تعريف موجز بمؤلفيها . وقد بذل في سبيل ذلك جهداً واضحاً أثابه المولى أجزل الثواب .

بسط الأستاذ المؤلف حياة الإمام الشافعي الكبير بسطاً دقيقاً أظهر فيه مواضع العبرة ، والجهاد الصابر في سبيل تحصيل العلم ، والاستهانة بحاجات الدنيا لغاية أسمى وغرض أعلى وأغلى ، فقد نشأ الشافعي فقيراً ، ونصح له أقرباؤه أن ينصرف إلى عمل يتكسب منه ، قال : « فجعلت لذتي في العلم وطلبه حتى رزق الله ما رزق » .

وقد عرض المؤلف إلى نسبه القرشي وخلقه الزكي وجوده المنقطع النظير فقد كانت تأتيه الألوف فلا يقوم من مجلسه حتى يوزعهـا جميعاً على شدة حاجته إليها وضرورتها له .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم فصّل القول في طلبه للعـــلم ، ورحلاته إلى مصر والعراق ، ووضعه التآليف المفيدة التي كانت ولا تزال مرجعاً للناس ، وأساساً راسخاً لمذهب الشافعي واختياراته ، وأشهرها كتابه العظيم « الأم » .

وقد روي عن عبد الله بن عبـد الحكم أنه قال : « الفقيه من يستنبط أصلاً من كتاب أو سنة لم يسبق إليه ، ثم يشعب في ذلك الأصل مائة شعب » قيل : فمن يقوى على ذلك ؟ قال : محمد بن إدريس (أي الشافعي) .

قلت : أذكرني هـذا الكلام قول بعض الأعلام : إن العلم الصحيح هو ما كنت مستقلاً بفهمه ، قادراً على إثباته والدفاع عنه ، فإذا كتبت فاذكر أهمّ ما استنبطته أو أثبتّه بدليل لم تعلم أنك سبقت إليه » .

وقد عني المؤلف عناية خاصة بوصف مجالس الشـافعي (رض) وما كانت تزخر به من علم وأدب ، مما يجلب السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، فقد كان هذا الإمام واسع الاطلاع ، غني المعرفة ، عميق الفهم لكتاب الله ، شديد التمسك بسنة رسول الله ﷺ بارعاً في الاستنباط والاستدلال ، جمع بين الرواية الصحيحة والدراية الصريحة ، وتعلق بالآثار فلم ير حجة في غيرهـا إن صحّت ، فإن جاء الأثر ووضحت دلالته وليس له ناسـخ أو مخـــالف فهو الشرع لا شرع سواه .

كتبت هذه الكلمة شاكراً للأستاذ المؤلف هديته الثمينة التي توجّه الأفكار والأنظار الى ما كان عليه سلفنا الصالح من علم وعمل وتقوى لله عز وجل ، فبهم يقتدى وبهديهم يهتدى . ألا وإن السعادة لا تعود لهذه الأمة إلا إذا هي عادت الى القرآن الحكيم وسنة النبي الكريم علماً وعملاً واعتقاداً ، وأدباً وخلقاً . ففيهما أقوى الحوافز الى أسمى الآفاق ، وأبعد الأشواط الموصلة إلى أعلى ما يكون من رفعة الذكر وعلوّ القدر وقوة التمكين والنصر ، وبالله التوفيق.

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net